

حضور المنهج الإثنوغرافي في السرد القديم:

قراءة تحليلية في فصول أرسطو السياسية

The Presence of the Ethnographic Approach in Ancient Narratives: An Analytical Reading of Aristotle's Political Chapters

ذ. عبد الرحيم اليحيائي، جامعة محمد الأول، كلية الآداب والعلوم الإنسانية وجدة، المغرب.

الكلمات المفتاحية	الملخص
الأنثروبولوجيا؛ الإثنوغرافيا؛ السرد القديم؛ أرسطو؛ الفكر السياسي؛ المجتمع.	يدرس هذا البحث حضور الملامح الأولى للمنهج الإثنوغرافي في السرد القديم، من خلال الوقوف عند بعض النماذج الفكرية التي أسهمت في وصف الإنسان والمجتمع والثقافة، مع التركيز بصورة خاصة على فصول أرسطو السياسية. وينطلق البحث من كون أن الأنثروبولوجيا، رغم تبلورها كعلم مستقل في العصر الحديث، تستند إلى إرثاصات معرفية قديمة ارتبطت بوصف الشعوب وعاداتها وتقاليدها وأنماط تنظيمها الاجتماعي والسياسي. ويسعى البحث إلى الكشف عن طبيعة الحضور الإثنوغرافي في السرد القديم، وبيان مظاهره في الكتابات اليونانية، ثم تحليل الطريقة التي تناول بها أرسطو الظواهر السياسية والاجتماعية، ولا سيما من خلال وصف أنماط الحكم والتحويلات التي عرفتتها مدينة أثينا وربطها بالبنية الاجتماعية والثقافية للجماعة. وتخلص الدراسة إلى أن فصول أرسطو السياسية تتضمن عناصر وصفية وتحليلية ومقارنة تقترب، من حيث طبيعتها، من بعض إجراءات المنهج الإثنوغرافي الحديث، رغم اختلاف السياق المعرفي والأدوات المنهجية بين الفكر القديم والأنثروبولوجيا المعاصرة.
Keywords	Abstract
This study examines the presence of early ethnographic features in ancient narratives by focusing on intellectual models concerned with the description of human beings, societies and cultures, with particular attention to Aristotle's political chapters. Although anthropology emerged as an independent discipline in modern times, its intellectual foundations can be traced back to earlier forms of knowledge concerned with describing peoples, customs, traditions and systems of social and political organization. The study seeks to identify the early manifestations of the ethnographic approach in ancient narratives and to analyze Aristotle's treatment of political and social phenomena, particularly his descriptions of political systems and transformations in Athens and his interpretation of these transformations in relation to the social and cultural structure of the community. The study concludes that Aristotle's political writings contain descriptive, analytical and comparative elements that bear similarities to certain principles of modern ethnographic methodology, despite the differences between the intellectual context and methodological tools of	Anthropology; Ethnography ; Ancient Narrative; Aristotle; Political Thought; Society.

مقدمة

تُعد الكتابة من أبرز المنجزات التي أسهمت في حفظ الذاكرة الإنسانية ونقل التجارب والأفكار من جيل إلى آخر، إذ أتاحت للإنسان تحويل مظاهر حياته الفردية والجماعية إلى مادة قابلة للتدوين والتداول والدراسة. وقد ارتبطت الكتابة منذ بداياتها بمحاولات الإنسان فهم ذاته ومحيطه، وتسجيل ما يلاحظه من ظواهر طبيعية واجتماعية وثقافية. ومن ثم، فإن تاريخ المعرفة الإنسانية لا يمكن فصله عن تاريخ السرد والوصف والتدوين، باعتبارها أدوات أساسية في التعبير عن التجربة الإنسانية.

وقد ساهمت الحضارات القديمة في تطوير أشكال متعددة من الكتابة والتدوين، بدءًا من الكتابة المسمارية في بلاد الرافدين، مرورًا بالكتابات المصرية القديمة وما تضمنته من برديات ونقوش، وصولًا إلى الكتابات اليونانية التي اتخذت منحى أكثر ارتباطًا بإنتاج الأفكار وتطوير أشكال التفكير الفلسفي والمنطقي. وقد أتاح هذا التطور ظهور نصوص لم تقتصر على تسجيل الأحداث، وإنما تناولت الإنسان والمجتمع والحيوان والطبيعة وأنماط العيش والتنظيم السياسي.

وفي هذا السياق، تكتسب الكتابات اليونانية أهمية خاصة، بالنظر إلى ما تضمنته من محاولات لفهم الإنسان والوجود والمجتمع. فقد انشغل الفلاسفة اليونانيون بقضايا متعددة تتصل بالإنسان والحياة الاجتماعية والسياسية، كما اهتموا بتفسير الظواهر وربطها بالسياقات التي نشأت فيها. وبرز أرسطو ضمن هؤلاء المفكرين باعتباره صاحب إنتاج فكري واسع شمل المنطق والأخلاق والسياسة والعلوم الطبيعية والأدب والنقد.

وإذا كانت الأنثروبولوجيا قد تبلورت باعتبارها علمًا مستقلًا في العصر الحديث، فإن البحث في الإنسان وثقافته ومجتمعه لا يمثل ظاهرة حديثة بالكامل؛ إذ يمكن العثور على إرهاصات مبكرة لهذا الاهتمام في عدد من النصوص القديمة التي اهتمت بوصف الشعوب وعاداتها وتقاليدها وأنماط حياتها وتنظيمها الاجتماعي والسياسي.

وتبرز أهمية هذا الموضوع من خلال محاولة استجلاء العلاقة بين بعض أشكال السرد القديم وبين ما أصبح يعرف لاحقًا بالمنهج الإثنوغرافي، خاصة أن هذا المنهج يقوم على وصف الجماعات البشرية وتحليل أنماط حياتها ومؤسساتها وقيمها وعاداتها ضمن سياقاتها الاجتماعية والثقافية.

ومن هذا المنطلق، يركز البحث على فصول أرسطو السياسية، باعتبارها نموذجًا يمكن من خلاله دراسة طبيعة الوصف والتحليل والمقارنة التي اعتمدها أرسطو في تناوله للظواهر السياسية والاجتماعية. فالنص الأرسطي لا يتعامل مع أنظمة الحكم باعتبارها مجرد مؤسسات سياسية منفصلة، وإنما يربط بينها وبين طبيعة المجتمع والفئات الاجتماعية ومصالحها وعاداتها وتوازنها.

وتتبع أهمية البحث كذلك من محاولة قراءة نص قديم بأدوات مفاهيمية تنتمي إلى مجال معرفي حديث، مع مراعاة الاختلاف بين السياقين وعدم إسقاط المفاهيم المعاصرة بصورة آلية على الفكر القديم. لذلك، فإن الحديث عن

حضور المنهج الإثنوغرافي في سردية أرسطولا يعني اعتبار أرسطوأنثروبولوجيًا بالمعنى الحديث، وإنما يعني الكشف عن بعض العناصر الوصفية والتحليلية التي تتقاطع مع المبادئ التي تطورت لاحقًا داخل الدراسات الإثنوغرافية والأنثروبولوجية.

إشكالية البحث

انطلاقًا من أهمية السرد القديم في تسجيل مظاهر الحياة الإنسانية، ومن حضور الوصف والتحليل والمقارنة في بعض الكتابات اليونانية، وخاصة كتابات أرسطو، يمكن صياغة الإشكالية المركزية للبحث على النحو الآتي:
كيف يحضر المنهج الإثنوغرافي في السرد القديم، وما مدى إمكانية الكشف عن ملامحه في فصول أرسطو السياسية؟
وتتفرع عن هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات الفرعية:

- ما المقصود بالأنثروبولوجيا والإثنوغرافيا، وما أبرز خصائص المنهج الإثنوغرافي؟
- متى ظهرت الإرهاصات الأولى للاهتمام بالإنسان والمجتمع والثقافة في السرد القديم؟
- كيف أسهمت الكتابات اليونانية في وصف الشعوب والمجتمعات وأنماط حياتها؟
- ما طبيعة الحضور الوصفي والتحليلي في كتابات أرسطو السياسية؟
- كيف ربط أرسطو بين الظواهر السياسية والبنى الاجتماعية والثقافية؟
- إلى أي حد يمكن اعتبار بعض الإجراءات المعرفية التي اعتمدها أرسطو قريبة من المنهج الإثنوغرافي؟
- ما حدود إسقاط المفهوم الإثنوغرافي الحديث على نصوص أرسطو القديمة؟

أهداف البحث

- يسعى هذا البحث إلى تحقيق مجموعة من الأهداف، من أبرزها:
- أولاً، التعريف بمفهوم الأنثروبولوجيا والإثنوغرافيا، والوقوف على بعض الخصائص الأساسية للمنهج الإثنوغرافي.
 - ثانياً، الكشف عن الإرهاصات الأولى للاهتمام بالإنسان والجماعة والثقافة في السرد القديم، وإبراز بعض النماذج التي عرفت اهتماماً بوصف الشعوب وأنماط حياتها.
 - ثالثاً، إبراز أهمية الكتابات اليونانية في تاريخ التفكير حول الإنسان والمجتمع، مع التركيز على أرسطو.

- رابعاً، تحليل طبيعة الوصف والتحليل والمقارنة في فصول أرسطو السياسية، وبيان علاقتها بالسياق الاجتماعي والثقافي.
- خامساً، الكشف عن مظاهر التقاطع بين طريقة أرسطو في دراسة الظواهر السياسية والاجتماعية وبعض مبادئ المنهج الإثنوغرافي الحديث.
- سادساً، بيان حدود المقارنة بين الفكر الأرسطي القديم والمنهج الإثنوغرافي الحديث، وتجنب إسقاط المفاهيم الحديثة على النصوص القديمة بصورة غير تاريخية.

الدراسات السابقة

يستند البحث إلى مجموعة من الدراسات والمراجع التي تناولت الأنثروبولوجيا والإثنوغرافيا وتاريخ هذا العلم، إضافة إلى المصادر التي تناولت الفكر الأرسطي والفكر السياسي القديم. ومن بين الدراسات التي استفاد منها البحث كتاب «مدخل عام في الأنثروبولوجيا» لمصطفى تلوين، الذي يقدم مدخلاً عاماً إلى مفهوم الأنثروبولوجيا وطبيعة موضوعها، كما يستفيد البحث من كتاب حسين فهم «قصة الأنثروبولوجيا: فصول في تاريخ علم الإنسان»، الذي تناول تاريخ الأنثروبولوجيا ومراحل تطورها، ووقف عند بعض الإرهاصات القديمة التي ارتبطت بوصف الشعوب والثقافات. كما يستفيد البحث من «قاموس الأنثروبولوجيا: إنجليزي عربي» لشاكر سليم، في تحديد المفهوم العام للأنثروبولوجيا، إلى جانب الاستفادة من بعض الأعمال الأجنبية التي تناولت تاريخ الإثنولوجيا والأنثروبولوجيا ومفاهيمها. وقد ركزت بعض هذه الدراسات على تاريخ الأنثروبولوجيا وتطورها بوصفها علماً مستقلاً، في حين اهتم بعضها الآخر بتحديد مفاهيمها ومجالاتها. أما البحث الحالي فيتجه إلى الاستفادة من هذه الأعمال في قراءة نص قديم، ومحاولة الكشف عن الملامح المنهجية التي يمكن أن تتقاطع مع المنهج الإثنوغرافي في فصول أرسطو السياسية. وتتمثل الإضافة التي يسعى إليها البحث في الجمع بين دراسة تاريخ الأفكار الأنثروبولوجية وتحليل نص أرسطي من زاوية منهجية، بدل الاختصار على دراسة تاريخ الأنثروبولوجيا باعتباره تاريخاً لعلم حديث مستقل.

خطة البحث

للمامسة الإشكالية المطروحة والإجابة عن التساؤل المتعلق بحضور المنهج الإثنوغرافي في السرد القديم، وبخاصة في سردية أرسطو، تم اعتماد خطة تقوم على ثلاثة محاور أساسية، تسبقها مقدمة وتمهد لها بخلاصة تستجمع أهم النتائج التي توصل إليها البحث، وذلك على النحو الآتي:

- **تمهيد:** يدرس أهمية الكتابة والسرد في حفظ التجربة الإنسانية وتوثيق مظاهر الحياة البشرية، مع إبراز حضور الاهتمام بالإنسان والمجتمع والثقافة في الكتابات القديمة، وصولاً إلى طرح الإشكالية المركزية للبحث.

- **1 مدخل نظري مفاهيمي:** يدرس مفهوم الأنثروبولوجيا والإثنوغرافيا، ودلالاتهما ومجالات اشتغالهما، مع الوقوف على نشأة الأنثروبولوجيا وتطورها، وتحديد بعض المفاهيم المرتبطة بدراسة الإنسان والمجتمع والثقافة، بما يسمح بتحديد الإطار المفاهيمي الذي ستم من خلاله قراءة السرد القديم.

- **2 حضور المنهج الأنثروبولوجي في السرد القديم:** يركز هذا المحور على تتبع الإرهاصات الأولى للاهتمام بالإنسان والآخر في الكتابات القديمة، من خلال الرحلات والبعثات والاتصال بين الحضارات، ثم الوقوف عند نماذج من الكتابات المصرية واليونانية والرومانية، وإبراز ما تضمنته من وصف للشعوب وعاداتها وتقاليدها وأنماط حياتها ومظاهرها الاجتماعية والثقافية.

- **3 المنهج الإثنوغرافي في فصول أرسطو السياسية:** قراءة تحليلية: يخصص هذا المحور لتحليل فصول أرسطو السياسية، والكشف عن طبيعة المنهج الوصفي والتحليلي الذي اعتمده في تناول الظواهر السياسية والاجتماعية، مع التركيز على وصف الجماعات والفئات الاجتماعية، وربط التحولات السياسية بالعادات والقيم والبنى الاجتماعية والثقافية، فضلاً عن إبراز حضور المقارنة وتحليل أنماط الحكم في السرد الأرسطي.

- **خلاصة:** تتضمن أهم النتائج التي يخلص إليها البحث بشأن حضور العناصر الوصفية والتحليلية والمقارنة في السرد القديم، ومدى تقاطعها مع بعض مبادئ المنهج الإثنوغرافي الحديث، مع التأكيد على ضرورة مراعاة الاختلاف بين السياق المعرفي القديم والمفهوم المنهجي الحديث.

منهجية البحث وإجراءاته

اعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي، من خلال وصف المفاهيم الأساسية المرتبطة بالأنثروبولوجيا والإثنوغرافيا، ثم تحليل مظاهر حضورها الأولي في السرد القديم.

كما تم توظيف المنهج التاريخي في تتبع نشأة الاهتمام بالإنسان والمجتمع والثقافة، والوقوف على بعض المراحل التي ساهمت في تطور الفكر الأنثروبولوجي وصولاً إلى تشكل الأنثروبولوجيا باعتبارها علماً مستقلاً.

واستفاد البحث كذلك من المقاربة المقارنة في إبراز أوجه التقاطع والاختلاف بين بعض الإجراءات الوصفية والتحليلية الواردة في النصوص القديمة وبين المبادئ التي يقوم عليها المنهج الإثنوغرافي الحديث. تتمثل الإجراءات المعتمدة في جمع المادة المتعلقة بمفهوم الأنثروبولوجيا والإثنوغرافيا، ثم تصنيفها وتحليلها، قبل الانتقال إلى قراءة نماذج من السرد القديم، وخاصة الكتابات اليونانية، وتحليل فصول أرسطو السياسية للكشف عن طبيعة العلاقة التي أقامها بين المؤسسات السياسية والبنى الاجتماعية والثقافية. لا يهدف البحث إلى اعتبار أرسطو صاحب منهج إثنوغرافي بالمعنى الاصطلاحي الحديث، وإنما يسعى إلى الكشف عن الإرهاصات المنهجية التي يمكن ملاحظتها في طريقة وصفه وتحليله للمجتمع والظواهر السياسية، مع مراعاة الفارق الزمني والمعرفي بين الفكر القديم والعلوم الاجتماعية الحديثة.

تمهيد

إن أقدم الكتابات التي اعتبرت المادة المصدرية الخام في تاريخ البشرية هي التي جادت بها انامل الفلاسفة الإغريق، فقد أحدث هؤلاء ثورة فعلية ساعدت للدفع قدما نحو مسألة التدوين وجعل الفكر البشري بارزا في وعاء خطي هو الوثيقة، فلم يفتهم أي شيء في الحياة الإنسانية، بل أبدعوا فكرا وفلسفة ومنطقا ومنهجيا، وحتى في الاجتماع البشري فقد برعوا بخطوطهم المميزة فتلك الكراسات روت عن علاقات بشرية، وصدامات ومؤاخاة، بل تطرقت كتب هؤلاء لمواضيع الحب كذلك.

كان ينظر للكتابة في بداية الأمر بكونها إبداع أوفنا كما أشار لذلك العلامة ابن حيث استشهد الرجل بأولى تلك البوادر التي قام بها الفلاسفة الإغريق، حيث لم يتجاوزهم في أصل الاجتماع والموجودات لا بشر ولا كائن حي فكتبوا عن صنوف الحيوانات ومعيشها وطرقها في التزاوج والانجاب والاكثار وزاد امر تدوينهم انتاجا حينما تعمقوا في فلسفة الروح البشرية وتساءلوا عن أصل الوجود.

كان لفعلهم ذلك أثر حقا عن مرحلة التفكير الإنساني وما وصلنا من تطور هذه السيورة من الأفكار عبر حركة السرديات التي كانوا هم أصلها. فتدوين الأفكار أمر ليس بالهين بل هو منهج قائم على إخراج مكونات النفس وما تضمه للعالم الخارجي عبر التعبير، لذلك كان الأولى أن نسائل أنفسنا قبل الشروع في مسألة تأصيل هذه العلوم الإنسانية عن مردها، إذ نجد أنفسنا أحيانا قد تجاوزنا مرحلة مهمة من مراحل الصناعة الفكرية للإنسان، لنجل أغلب العلوم لصيقة بسياقها الحديث. لذلك ألم يكن رواد هذه المدارس ومنظرو الفرضيات والعلوم الإنسانية الحديثة قد اطلعوا مسبقا على كتابات أرسطو وأفلاطون، واستعاروا منهما طرق الكتابة على الأقل في الفلسفة والمنطق وعلم الكلام، كما فعل ابن رشد حينما نقل بدون احتكار أفكار تلك المدارس الفلسفية الأولى وطورها ليصنع الصدى الفكري في عصره؟

إن من ميزة العقل البشري الإبداع والاختراع، فلقد تم صنع الكتابة في ألواح طينية بالمدينة القديمة ببابل منذ 3500 سنة قبل الميلاد، وهو النص المسماري الشاهد الذي وصلنا اليوم. لكن مع تسلسل الحضارات أضحت مرحلة تطوير هذه الكتابة مسؤولية من منظور التطور البشري وهو ما أسهم به المصريون القدماء في بردياتهم وعلى نقوش جدرانهم لينتقلوا من مرحلة الترميز المسماري إلى التشفير ثم أخذ الاغريق ذلك على محمل الجد فباشروا في حركة التدوين، لكن ما ميزهم هو مرحلة صناعة الأفكار التي لا زالت لصيقة بنمط التفكير الإنساني.

إن ما فعله أرسطو وهو تلميذ أفلاطون يتجاوز حدود التصديق، فلا زلنا نقرأ له حتى تصادفنا مع تيمة خطية ممنهجة تجعلنا نتساءل عن أصل ذلك العلم وذلك وبذلك فحضور الأنثروبولوجيا في سرديات إغريقية أو رومانية قديمة هو أمر وارد، خاصة إذا كان الحديث عن قصص واقعية عاشها السارد الإغريقي أو الروماني في زمنه.

1- مدخل نظري مفاهيمي

أرسطو: هو أرسطوطاليس ولد سنة 384 ق.م. في مدينة صغيرة في تراقيا شمال شبه الجزيرة اليونانية، نشأ في ظروف ثقافية وتعلم على يد أفلاطون وقد تخرج من مدرسته " الأكاديمية ". له العديد من المؤلفات في المنطق والجدل والأخلاق والسياسة والعلوم الطبيعية...ومن أشهر كتبه في الأدب والنقد: كتاب الشعر oetica، كتاب الخطابة

1

Rhetorica وهو صاحب المذهب الفلسفي المسمى بالمشائين .

التعريف الاشتقاقي للأنثروبولوجيا: تتكون الأنثروبولوجيا من شقين وهما أنثروبوس Anthropos ومعناها الإنسان، ولوغوس Logos وتعني بحثاً أو دراسة أو علماً، أي علم الإنسان. أما من المنظور الفلسفي فالأنثروبولوجيا علم وصفي للإنسان. واصطلاحاً هي علم من العلوم الإنسانية الذي يهتم بمعرفة جميع مناحي الحياة الإنسانية معرفة كلية وشمولية. إذ يهتم بدراسة الإنسان من حيث قيمه (قيم جمالية، دينية، أخلاقية، اقتصادية، ثقافية، واجتماعية (...). 2.

¹ أرسطو، فن الشعر، ترجمة: إبراهيم حمادة، ص. 14

² / تلوين مصطفى. (2011). مدخل عام في الأنثروبولوجيا، (ط.1). لبنان: دار الفارابي. ص 19-20. نقلاً عن

ولعل الفهم الدقيق لماهية الأنثروبولوجيا سيكون من خلال اطلاعنا على مهام الأنثروبولوجيون،

وفي هذا الصدد وجدنا تعريف الباحثة الأمريكية ماركريت ميد (Margaret MEAD(1901-1979

³ قد استوفى مجمل النواحي التي تشغل البحث الأنثروبولوجي وهو كالتالي:

"نحن نصف الخصائص الإنسانية، البيولوجية والثقافية، للنوع البشري عبر الأزمان وفي سائر الأماكن. ونحلل الصفات البيولوجية والثقافية المحلية، كأنساق مترابطة ومتغيرة، وذلك عن طريق نماذج ومقاييس ومناهج متطورة. كما نهتم بوصف وتحليل النظم الاجتماعية والتكنولوجية، ونعنى أيضا ببحث الإدراك العقلي للإنسان وابتكاراته ومعتقداته ووسائل اتصالاته. وبصفة عامة، فنحن الأنثروبولوجيين نسعى لربط وتفسير نتائج دراساتنا في إطار نظريات التطور، أو مفهوم الوحدة النفسية المشتركة بين البشر. إن التخصصات الأنثروبولوجية التي قد تتضارب مع بعضها هي في ذاتها مبعث الحركة والتطور في هذا العلم الجديد، وهي التي تثير الانتباه، وتعمل على الإبداع والتجديد، هذا وتجدر الإشارة إلى أن جزءا لا بأس به من عمل الأنثروبولوجيين يوجه نحو القضايا العملية في مجالا الصحة والإدارة والتنمية الاقتصادية ومجالات الحياة الأخرى." ⁴

إن هذا التعريف الأمريكي يوضح لنا أن الأنثروبولوجيا دراسة للإنسان من الناحية العضوية والثقافية، حيث يستخدم الأمريكيون الأنثروبولوجيا الجسمية الفيزيائية للإشارة إلى دراسة الجانب العضوي أو الحيوي للإنسان، بينما يستخدمون مصطلح الأنثروبولوجيا الثقافية ليعني جميع التخصصات التي تدرس النواحي الاجتماعية والثقافية لحياة الإنسان القديم التي يشار إليها بعلم الأركيولوجيا، كما أنها تتناول دراسة لغات الشعوب البدائية واللهجات المحلية والتأثيرات المتبادلة بين اللغة والثقافة بصفة عامة، وذلك في إطار ما يعرف بعلم اللغويات. علاوة على ذلك يوجد مجالان دراسيان آخريان وهما الإثنولوجيا التي تهتم بالدراسة التحليلية والمقارنة للمادة الإثنوغرافية بهدف الوصول إلى تصورات نظرية، وتعميمات بصدد مختلف النظم الاجتماعية من حيث أصولها وتطورها وتنوعها، أما الإثنوغرافيا فتعني

. Russ Jacqueline (2004) *Dictionnaire de philosophie*, Bordas, Paris.P. 24-25

³ / تعد مارغريت ميد واحدة من أكثر علماء الأنثروبولوجيا الثقافية شهرة في الولايات المتحدة الأمريكية لما لها من تأثير امتد إلى أوروبا وبلدان أخرى. ولدت مارغريت ميد في السادس عشر من شهر كانون الأول عام 1901م في فيلادلفيا بولاية بنسلفانيا في الولايات المتحدة الأمريكية، وتوفيت سنة 1979. (أنظر مقال موقع مؤسسة مؤمنون بلا حدود حول ماركريت ميد).

⁴ / حسين فهميم. (1986)، قصة الأنثروبولوجيا: فصول في تاريخ علم الإنسان. (ط.1). الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. ص.13-14. نقلا عن، Poirier Jean. (1984). *Histoire de l'ethnologie presses universitaires de France*, troisième édition. P.280.

الدراسة الوصفية لأسلوب الحياة ومجموع التقاليد والعادات والقيم والأدوات والفنون والمأثورات الشعبية لدى جماعة

5

معينة خلال فترة زمنية محددة .

أما في أوروبا قد يختلف الأمر نوعا ما في معنى الأنثروبولوجيا ومجالاتها، وذلك حسب الخلفيات الثقافية والمصالح القومية؛ يذكر جون بواريه⁶ Jean Louis Marie Poiret (1834-1755) أنها ظهرت في كتابات علماء الطبيعة في القرن 18م. كما أنه يزعم على أن بلوميناخ أول من أدرج مصطلح الأنثروبولوجيا في منهج تدريس التاريخ الطبيعي بالجامعات، حيث اتسعت دائرة هذا المعنى فيما بعد لتشمل المقارنة بين الإنسان والحيوان، وتنوع السلالات البشرية والخصائص الوراثية للشعوب مقارنة بين الإناث والذكور، لتحديد الوظائف والأدوار الاجتماعية لكل نوع.

إضافة إلى ذلك أسس الإنجليز فرع الأنثروبولوجيا الاجتماعية إذ يصفها أحد الرواد على أنها تدرس السلوك الاجتماعي الذي يتخذ في العادة شكل نظم ومؤسسات اجتماعية (العائلة؛ نسق القرابة، التنظيم السياسي؛ الإجراءات القانونية؛ الأطر الدينية العلاقات بين المجتمعات).

يختلف أيضا تعريف الأنثروبولوجيا لدى العرب لكن هذا الاختلاف ينحصر في تبني النظريات الغربية كون الأنثروبولوجيا تعد علما غربيا بامتياز، وفي هذا السياق نذكر تعريف شاكر سليم الذي أورده في قاموس الأنثروبولوجيا (1981): "الأنثروبولوجيا علم دراسة الإنسان طبيعيا واجتماعيا وحضاريا"⁷ إذ يحمل هذا التعريف نظرة شمولية لدراسة الإنسان موجزة في الثلاث مجالات المذكورة آنفا، وعلى إثرها جاءت تسمية علم الإناسة.

⁵ Poirier Jean. (1984). *Histoire de l'ethnologie presses universitaire de France*, troisième édition. P.105.

⁶ / جون بواريه (1755-1834) Jean Louis Marie Poiret ولد بشمال فرنسا و هو عالم نباتة ومستكشف فرنسي من نهاية ق.18م. و بداية ق.19م. أرسله لويس السادس عشر إلى مدينة الطارف بالجزائر (منطقة الكالة تحديدًا) لجرد التنوع النباتي لدى البربر.

⁷ / شاكر سليم. (1981). قاموس الأنثروبولوجيا: انجليزي عربي. (ط.1). الكويت: جامعة الكويت. ص.56.

عندما نفتتح الحديث حول نشأة الأنثروبولوجيا فإننا سنجد البعض يرجع نشأتها إلى القرن 18م، متزامنة مع الحركة التنويرية أما آخرون فيرجعون نشأتها كعلم حتى الخمسينيات من القرن الثامن عشر، أما البعض الآخر فيرجعها إلى ما بعد الحرب العالمية الأولى كعلم قائم بذاته نظريا وميدانيا، علاوة على ذلك فهو يعتبر علما أوروبيا بامتياز ورغم ذلك غالبا ما كان المنظرون لتاريخ الأنثروبولوجيا يتحدثون عن جذور قديمة أو بالأحرى عن بوادر أولية لظهور ملامح الأنثروبولوجيا لعصور ضاربة في القدم. وقبل ذلك نود الإشارة إلى التقسيم الذي أجراه توماس بنيمان⁸ Thomas Penniman (1895-1977) لتاريخ الأنثروبولوجيا إلى خمسة مراحل أساسية:

- المرحلة الأولى: ما قبل عام 1835 مراحل تمهيدية منذ العصور الأولى.
- المرحلة الثانية: 1835-1859 بروزها كفرع جديد للمعرفة.
- المرحلة الثالثة: 1859-1900 تأسيسها كعلم أكاديمي.
- المرحلة الرابعة: أوائل القرن 20م. إلى 1935 مرحلة التأصيل.
- المرحلة الخامسة: من 1935 حتى نهاية الخمسينات مرحلة التدعيم والتثبيت.

2- حضور المنهج الأنثروبولوجي في السرد القديم

رغم أن الأنثروبولوجيا تعتبر علما حديثا لم يتحقق كعلم مستقل إلا في أواخر القرن 19م. إلا أن البحث في خصائص الشعوب ووصف الثقافات، والمقارنة فيما بينها قد أثبتت جذورها في عصور قديمة منذ أن أصبح الإنسان يرى لنفسه حاجة في الاستطلاع حول الآخر الذي يختلف عنه في العرق واللغة والثقافة والحضارة وأسلوب العيش لأغراض معينة، وعلى إثر ذلك بدأ ينتبه ويلاحظ الفروقات القائمة بينه وبين الجماعات الأخرى المختلفة عنه، حيث أنتجوا تفسيرات في هذا الصدد سواء كانت هذه الفروقات فيزيولوجية أو ثقافية من تقاليد وأعراف ومعتقدات ممارسة ضمن الحياة الحضارية. إذن من هذا المنطلق كيف يمكننا أن نستخرج الملامح المبكرة للأنثروبولوجيا؟

غالبا ما يعتبر فعل التعرف على الآخر عن طريق القرب منه ومشاهدة أنشطته وممارساته بالمعينة عن كذب، ولا سيما هذا التعارف كان منذ القدم إما عن طريق البعثات؛ الرحلات التجارية؛ الحروب والغزو، التي نتجت عنها أشكال مختلفة من أساليب تجسيد ثقافة الآخر ووصفها والإخبار عنها في إطار ما يسمى باتصال الحضارات، لذلك سنتحدث أولا عن العصور القديمة.

⁸ / توماس بنيمان: (1895-1977) Thomas Penniman أنثروبولوجي أمريكي صاحب كتاب "تاريخ الأنثروبولوجيا في مئة عام. (1965). *A hundred years of Anthropology*

يجمع معظم علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا على أن الرحلة التي قام بها المصريون القدامى عام 1493 ق.م.⁹ إلى بلاد بونت¹⁰ بهدف التبادل التجاري تعد من أقدم الرحلات التاريخية للتعارف بين الشعوب، والتي نتج عنها أول أسلوب لوصف بنية الآخر وطابعه الثقافي من خلال ما تبين في النقوش المصورة في معبد الدير البحري¹¹ لمشهد استقبال ملك ومملكة بلاد بونت لمبعوث مصري وما أوضحت من تفاصيل الصفات الجسمية، حيث بدا واضحا ما اتصف به أهل المملكة من تراكم السمنة بإفراط.

⁹ / كانت الرحلة مؤلفة من خمسة مراكب، على متن كلٍّ منها 31 راكباً، وذلك بهدف استيراد بضائع بونت النفيسة التي شملت البخور والعطور. ونتج عن هذه الرحلة اتصال المصريين القدماء بأهالي أفريقيا الجنوبية (أنظر حسين فهميم، قصة الأنثروبولوجيا ص.40-41).

¹⁰ / بلاد بونت: منطقة بونت: وهي المنطقة التي تمتد من سواكن الى أقصى نقطة عرفها المصريون، سواء في جنوب الجزيرة العربية أو ساحل الصومال. وعندما اكتشف العالم الأثري "ماريت" Mariette رسوم رحلة بلاد بونت المصورة على جدران معبد الدير البحري للمملكة حتشبسوت وذلك في عام 1877، الذي أكد بأن بلاد بونت تقع في أفريقيا وحدد موقعها بشمال الصومال. لكن يبقى لحد الآن موقع بلاد بونت غير مؤكد و لكن يبدو من خلال منتجاتها المستوردة أنها كانت تقع في منطقة ما بالقرب من بلاد الصومال، و كما يذكر د. رمضان عبده أن تلك البلاد كانت تقع في منطقة تشمل بلاد الصومال وإريتريا، وربما ضموا إليها مايقابلها من الجنوب الغربي لبلاد اليمن في بعض العصور. وأرجح بعض علماء الحضارة المصرية القديمة أن مكان هذه البلاد في المنطقة الواقعة حول بوغاز باب المندب في جنوبي البحر الأحمر على الشاطئ الإفريقي والاسيوي أي تشمل الصومال وإريتريا وجنوبي الجزيرة العربية. ويذكر د. نيكولا جريمال أن المصريين القدماء حددوا موقع بونت في بلاد الإله (أي بابل) وكان هذا الاسم يدل منذ الدولة الوسطى على المناطق الشرقية، ويسود الاعتقاد أن هذه البلاد كانت تقع في مكان ما في المنطقة المحصورة بين شرقي السودان وشمال إريتريا، وكانت مصدر مصر الأساسي من أخشاب المر (نوع من الشجر) وقد جلب منها المصريين فيما بعد البخور والإلكتروم والذهب والعاج والإينوس، الراتنج، الصمغ وجلود الفهود و جميعها من المنتجات الإفريقية. ورأي آخر يقول أن هذه التسمية خاطئة و صاحب هذا الطرح هو د. آلن جاردنر Allen Gardener

ويقال أن الاسم الحقيقي والصحيح المستمد من النصوص المصرية هو بوييني أو بينيه. (أنظر مقال محمد ثروت، نقوش بعثة بلاد بونت لحتشبسوت ومقارنتها بما قبلها).

¹¹ / الدير البحري؛ أو معبد حتشبسوت شيد في القرن السادس الميلادي على أطلال معبد ملايين السنين للمملكة حتشبسوت، يقع في أحضان سلسلة جبلية شاهقة في البر الغربي بالأقصر، مصر (أنظر محمد البيلي، ورقة تعريفية للموقع الأثري : معبد حتشبسوت بالدير البحري ص.4).

من ناحية أخرى نجد الإغريقي هيرودوت¹² يصف ضمن مدونته التواريخ *les histoires* مختلف الشعوب (حوالي 50 شعباً) من حيث عاداتهم وأساليب حياتهم واعتماده مقارنة الفوارق الثقافية بين السلالات؛ الثقافة؛ اللغة؛ الطوطمية؛ التقاليد والعادات؛ الملامح الفيزيولوجية والأصول. بحيث جمع معلومات وصفية أقرب منها إلى الدقة. كما يعتبر أرسطو¹³ الفيلسوف اليوناني من أوائل الذين وضعوا بعض أوليات الفكر التطوري للكائنات الحية، وذلك من خلال ملاحظاته وتأملاته في التركيبات البيولوجية وتطورها في الحيوان، (كما ينسب إليه أيضاً توجيه الفكر نحو وصف نشأة الحكومات وتحليل أشكالها وأفضلها)، الأمر الذي يعتبر مساهمة مبدئية وهامة في دراسة النظم الاجتماعية والإنسانية.¹⁴ ثم بعدما سيطرت روما على معظم أوروبا والشرق الأوسط وشمال إفريقيا (100-500 ق.م.) قام أرسطو بوصف عدة مواقع جغرافية بناء على مشاهدته الحية لأحوال الجغرافيا الطبيعية لمقاطع الإمبراطورية الرومانية؛ حالة سكانها؛ تاريخها وغريب عاداتهم وعقائدهم.

لا يجد الأنثروبولوجيون في الفكر الروماني ما يمكن اعتباره إسهامات أصيلة في نشأة علم مستقل لدراسة الشعوب وثقافتهم، أوتقاليد راسخة لمثل هذه الدراسات. ولكن، يمكن أن تستثنى من ذلك أشعار كاروس لوكرتيوس¹⁵ التي احتوت على بعض الأفكار الاجتماعية الهامة، فقد تناول موضوعات عدة عرضها في ستة أبواب رئيسية. إذ خصص الباب السادس لعرض فكري التطور والتقدم، حيث تحدث عن الإنسان الأول والعقد الاجتماعي، ونظامي الملكية والحكومة، ونشأة اللغة، إضافة إلى مناقشة العادات والتقاليد والفنون والأزياء

¹² / هيرودوت: ينتمي إلى الإغريق يطلق عليه من قبل المؤرخين أب التاريخ، على اعتبار أنه أول من أרך للشعوب، ضمن مجلده المسمى " تاريخ هيرودوت" ولم يتحدث فقط عن أحداث تاريخية فقط بل اعتمد كذلك وصف الشعوب وعاداتهم، لكن معظم المعلومات التي ضمنها في كتابه لم تكن معلومات ناتجة عن ملاحظاته المباشرة بتواجده بين الأهالي الذين تحدث عنهم بل كانت معلومات مستقاة من الرواية الشفوية من طرف أشخاص زاروا المنطقة التي يتحدث عنها غالباً كانوا رحالة و تجار وعبيد، ومن بين الشعوب الذين كتب عنهم اللوبيين نسبة إلى سكان شمال إفريقيا من بينهم سكان مريطانيا الطنجية (المغرب).

¹³ / أرسطو: إسمه الكامل أرسطو طاليس ولد سنة 384 ق.م. في مدينة صغيرة في تراقيا شمال شبه الجزيرة اليونانية، نشأ في ظروف ثقافية، لقد تتلمذ على يد أفلاطون وتخرج من مدرسته " الأكاديمية". له العديد من المؤلفات في المنطق

و الجدل و الأخلاق و السياسة و العلوم الطبيعية...ومن أشهر كتبه في الأدب و النقد: كتاب الشعر *Poetica*، كتاب الخطابة *Rhetorica* وهو صاحب المذهب الفلسفي المسمى بالمشائين (أنظر كتاب أرسطو، فن الشعر، تر: ابراهيم حمادة، ص. 14).

¹⁴ / نفس المرجع، ص. 46.

¹⁵ / يعدّ تيتوس لوكرتيوس كاروس **Titus Lucretius Carus** واحداً من كبار الشعراء والفلاسفة الرومان. ويصنّفه بعض الدارسين ضمن الفلاسفة الأبيقوريين. ولد نحو 99 ق.م. وتعود شهرة لوكرتيوس إلى قصيدته المطوّلة الموزّعة على ستة أجزاء بعنوان "في طبيعة الأشياء"؛ فقد عُدّت من روائع الأدب اللاتيني.

والموسيقى¹⁶. وقد رأى بعض الأنثروبولوجيون أنّ لوكرتيوس استطاع أن يتصوّر مسار البشرية في عصور حجرية ثمّ برونزية، ثمّ حديدية، بينما رأى بعضهم الآخر في فكر لوكرتيوس، تطابقاً مع فكر لويس مورجان¹⁷ Morgan (1881-1818) أحد أعلام الأنثروبولوجيا في القرن التاسع عشر. وذلك من حيث رؤية التقدّم والانتقال من مرحلة إلى أخرى، في إطار حدوث طفرات مادية، وإن كان مردّها في النهاية إلى عمليات وابتكارات عقلية¹⁸ وإذا استثنينا أشعار لوكرتيوس هذه وما احتوتها من أفكار تتعلّق بطبيعة الكون ونشأة الإنسان وتطوّره، فإنّه من الصعوبة أن تنسب نشأة علم الأنثروبولوجيا إلى الفكر الروماني القديم، كما هو الحال عند الإغريقين.

3- المنهج الإثنوغرافي في فصول أرسطو السياسية: قراءة تحليلية

تُظهر فصول أرسطو الواردة في كتاب السياسة، ولا سيما تلك التي تناول فيها تحولات الحكم في مدينة أثينا، ملامح منهجية واضحة تقوم على الوصف التحليلي للظواهر السياسية بوصفها تعبيراً عن بني اجتماعية وثقافية عميقة، وهو ما يجعل هذه النصوص قريبة في روحها وإجراءاتها من المنهج الإثنوغرافي بمفهومه الحديث. فالأحداث السياسية، كما يعرضها أرسطو، لا تُقدّم باعتبارها وقائع معزولة أو مجرد قرارات قانونية، بل تُدرّس ضمن سياقها الاجتماعي والتاريخي، من حيث علاقتها بعادات الجماعة، وذهنيتها، وأنماط سلوكها الجمعي في لحظات الأزمات والتحوّلات الكبرى.

وينطلق أرسطو في تحليله من ملاحظة دقيقة للممارسات السياسية اليومية داخل المجتمع الأثيني، مثل أساليب اختيار الحكام، وطبيعة عمل المجالس، وآليات التشريع والإلغاء، وطرق ممارسة السلطة والقمع. هذه العناصر لا تُعرض بوصفها نصوصاً مجردة، بل كوقائع اجتماعية حيّة تعكس تفاعلات الجماعات المختلفة داخل المدينة، من عامة الشعب إلى النخب السياسية والعسكرية. ويكشف هذا المنحى الوصفي عن اهتمام أرسطو بما يمكن تسميته «الثقافة

¹⁶ / نفس المرجع ص.47.

¹⁷ / لويس هنري مورغان (Louis Henry Morgan 1881-1818) محام و أنثروبولوجي أمريكي من خلال بحثه المختص بإحدى قبائل الهنود الأصليين بأمريكا أخرج كتابا بإسمها تحت عنوان " عصابة الإروكزين" كما أصدر كتابا آخر تحت عنوان " أنظمة القرابة و المصاهرة في العائلة البشرية".

¹⁸ / نفس المرجع، ص.41.

السياسية» للآثنيين، أي مجموع القيم والتصورات والعادات التي تحكم سلوكهم السياسي، وهو ما يشكل جوهر المقاربة الإثنوغرافية التي تهدف إلى فهم المجتمعات من داخلها، عبر تحليل أنماط عيشها وتنظيمها الذاتي.

كما يتضح الطابع الإثنوغرافي في ربط أرسطو المستمر بين التحولات السياسية والبنى الاجتماعية القائمة، إذ لا يفسر سقوط الديمقراطية أو قيام حكم الأقلية والطغيان تفسيراً قانونياً محضاً، بل يعيده إلى عوامل اجتماعية ونفسية، مثل خوف الجماعة، وتأثير الهزائم العسكرية، وتنامي الشعور بعدم الأمان، واستغلال الخطاب السياسي للتقاليد والآباء بغرض شرعنة السلطة. فالسياسة، في منظور أرسطو، ليست مجرد نظام حكم، بل هي انعكاس مباشر لطبائع الجماعات وتوازناتها الداخلية، وهو تصور ينسجم مع الرؤية الإثنوغرافية التي ترى في المؤسسات السياسية نتاجاً ثقافياً واجتماعياً قبل أن تكون بناءً قانونياً.

ويلاحظ كذلك أن أرسطو يعتمد في تحليله على مقارنة جماعية بنوية، حيث يُقدّم الفاعلين السياسيين بوصفهم ممثلين لفئات اجتماعية محددة، لا بوصفهم أفراداً معزولين. فالنبلاء، والعامة، والمشاة، وأصحاب الثروة، يظهرون في النص كقوى اجتماعية تتفاعل داخل بنية سياسية واحدة، وتؤثر في مسار الحكم تبعاً لمصالحها ومواقعها. وهذا التركيز على الجماعة والبنية، بدل الفرد والحدث المعزول، يعكس وعياً منهجياً قريباً من المنهج الإثنوغرافي الذي يهتم بدراسة الأنساق الاجتماعية وأنماط العلاقات داخل المجتمع.

ويبرز البعد الإثنوغرافي أيضاً من خلال اعتماد أرسطو على المقارنة الضمنية بين أنماط الحكم المختلفة داخل المجتمع الآثيني نفسه، إذ يقارن بين الديمقراطية وحكم القلة والطغيان، مبرزاً الفروق في أساليب الحكم، ومستوى المشاركة السياسية، وطبيعة العلاقة بين الحاكم والمحكوم. وتُعد هذه المقارنة أداة مركزية في المنهج الإثنوغرافي، لأنها تسمح بفهم التحولات الثقافية والاجتماعية من خلال تتبع الاختلافات في السلوك والمؤسسات عبر الزمن.

أما من حيث الإجراء المعرفي، فإن أرسطو يعتمد على الملاحظة غير المباشرة والتجربة التاريخية المتراكمة، مستنداً إلى معاشته للواقع السياسي، وإلى ما توفر له من شهادات وأحداث موثقة. ورغم أن هذا الأسلوب لا يرقى إلى الملاحظة التشاركية بالمفهوم الأنثروبولوجي الحديث، فإنه يظل قريباً من المنهج الإثنوغرافي في اعتماده على الواقع المعيش وتحليل الوقائع كما تجلّت في حياة الناس اليومية. كما يحرص أرسطو، في الغالب، على تبني موقف تحليلي يوازن بين الوصف والنقد، فيسعى إلى فهم منطق الجماعات السياسية قبل إصدار الأحكام الأخلاقية عليها، وهو ما يعكس نزعة تفسيرية تشكّل إحدى الركائز الأساسية للبحث الإثنوغرافي.

وخلاصة القول، إن فصول أرسطو السياسية تمثل نموذجًا مبكرًا لمنهج وصفي تحليلي يمكن اعتباره أحد الجذور الأولى للتفكير الإثنوغرافي في دراسة الظواهر السياسية والاجتماعية. فقد استطاع أرسطو، من خلال ربط السياسة بالثقافة والسلوك الجماعي، أن يتجاوز التفسير القانوني الضيق للحكم، ويقدم قراءة عميقة للمجتمع الأثيني في لحظات تحوله، وهوما يمنح نصوصه قيمة علمية تتجاوز زمانها، وتؤهلها لتكون مرجعًا مهمًا في الدراسات المنهجية المقارنة بين الفكر الفلسفي القديم والعلوم الاجتماعية الحديثة.

خلاصة:

تُمكن قراءة فصول أرسطو السياسية، في ضوء المنهج الإثنوغرافي، من استخلاص خلاصة منهجية ومعرفية عميقة تؤكد أن الفكر الأرسطي لم يكن مجرد تنظير تجريدي في شؤون الحكم، بل ممارسة تحليلية واعية للواقع الاجتماعي والسياسي في سياقه الثقافي والتاريخي. فقد تعامل أرسطو مع الظاهرة السياسية بوصفها نتاجًا مركبًا لتفاعلات بشرية، تحكمها العادات والتقاليد والذهنيات الجماعية بقدر ما تحكمها القوانين والمؤسسات، وهوما يضع تحليله في تماس مباشر مع جوهر المقاربة الإثنوغرافية التي تقوم على فهم المجتمعات من الداخل، لا من خلال نماذج مسبقة أو تصورات معيارية جاهزة.

وتكشف هذه الدراسة أن أرسطو اعتمد بشكل منهجي، على الوصف الدقيق للوقائع السياسية كما تجلت في الممارسة اليومية لأهل أثينا، فربط بين التحولات الدستورية والأوضاع الاجتماعية والنفسية للجماعة، مبرزًا أثر الخوف، وعدم الاستقرار، وصراع المصالح، في انتقال الحكم من الديمقراطية إلى حكم القلة أو الطغيان. ولم ينظر إلى هذه التحولات باعتبارها اختلالات قانونية فحسب، بل بوصفها تعبيرًا عن خلل أعمق في البنية الاجتماعية وتوازن القوى داخل المجتمع، وهو تصور ينسجم تمام الانسجام مع المنهج الإثنوغرافي الذي يرى في السياسة انعكاسًا لبنية المجتمع وقيمه وسلوكاته.

كما تُبرز الخلاصة أن أرسطو أولى أهمية خاصة للجماعة باعتبارها وحدة التحليل الأساسية، فركز على الفئات الاجتماعية ودورها في صناعة القرار السياسي، بدل الاقتصار على الأفراد أو الشخصيات التاريخية. وقد سمح له هذا المنظور الجماعي بفهم آليات اشتغال السلطة، وكيفية تشكّل الشرعية السياسية، واستغلال الخطاب القيمي والتقليدي

لتبرير الحكم أو مقاومته. وهذا التوجه البنيوي الجماعي يعد من الركائز الأساسية للمنهج الإثنوغرافي، الذي يهتم بدراسة النسق الاجتماعي في كليته، والعلاقات التي تربط مكوناته بعضها ببعض.

وتؤكد الخلاصة أيضاً أن أرسطو لم يفصل المنهج عن الموضوع، بل انبثق تحليله من طبيعة الواقع الذي درسه، فاستند إلى التجربة التاريخية والملاحظة المتراكمة، معتمداً على سرد الأحداث وتحليلها في ضوء أسبابها الاجتماعية والثقافية. ورغم غياب الأدوات الإثنوغرافية الحديثة، مثل الملاحظة التشاركية أو العمل الميداني، فإن منهجه ظل قائماً على مقارنة تفسيرية تهدف إلى الفهم قبل الحكم، وإلى الكشف عن منطق الفعل السياسي كما يعيشه الفاعلون أنفسهم داخل مجتمعهم.

وفي ضوء ذلك، يمكن القول إن فكر أرسطو يمثل مرحلة تأسيسية مبكرة في تاريخ المناهج الوصفية التحليلية، ويشكل جسراً معرفياً بين الفلسفة السياسية الكلاسيكية والعلوم الاجتماعية الحديثة. فالمنهج الذي اعتمده في دراسة أنماط الحكم، وتحليل أسباب استقرارها أو انهيارها، يتقاطع مع مبادئ المنهج الإثنوغرافي من حيث الاهتمام بالسياق، والجماعة، والثقافة، والتاريخ، مما يمنح نصوصه قيمة منهجية تتجاوز الإطار الفلسفي التقليدي.

وعليه، فإن استحضار المنهج الإثنوغرافي في قراءة فصول أرسطو لا يقتصر على إعادة تأويل نصوص قديمة، بل يفتح أفقاً نقدياً لفهم تطور مناهج البحث في العلوم الإنسانية، ويبرز أن كثيراً من الأدوات المفهومية التي تعتمد عليها الدراسات المعاصرة تجد جذورها الأولى في أعمال فلسفية كلاسيكية. ومن هنا، تكتسب هذه الخلاصة أهميتها في تأكيد أن دراسة الفكر الأرسطي من زاوية منهجية لا تُعني فقط البحث الأكاديمي في الفلسفة السياسية، بل تسهم أيضاً في تعميق الوعي بتاريخ تشكّل المناهج العلمية في دراسة المجتمع والإنسان.

مراجع البحث

- ✓ أرسطو. فن الشعر. ترجمة إبراهيم حمادة. القاهرة، مصر: مكتبة الأنجلوالمصرية، 1989.
- ✓ تلوين، مصطفى. مدخل عام في الأنثروبولوجيا. ط. 1. بيروت، لبنان: دار الفارابي، 2011.
- ✓ سليم، شاك. قاموس الأنثروبولوجيا: إنجليزي-عربي. ط. 1. الكويت: جامعة الكويت، 1981.
- ✓ فهم، حسين. قصة الأنثروبولوجيا: فصول في تاريخ علم الإنسان. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1986.

✓ Penniman, Thomas Kenneth. A Hundred Years of Anthropology. 3rd ed., rev. London: G. Duckworth, 1965.

- ✓ Poirier, Jean. Histoire de l'ethnologie. 3e éd. revue et corrigée.
Paris: Presses Universitaires de France, 1984.
- ✓ Russ, Jacqueline, et Clotilde Badal-Leguil. Dictionnaire de
philosophie. Paris: Bordas, 2004.